خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٨ من شوال ١٤٣٦ هـ / ٢٤ من تموز ٢٠١٥ م

الجمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة، ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣].

معاشر السادة: بالأمس القريب ودع المسلمون شهر رمضان واستقبلوا أشهر الحج، مع أن شهر الصيام والقيام قد غابت معانيه الرفيعة، وحولته الطبائع المرضى إلى شهر طعام وشراب وتسلية وألغازٍ ودعايات، وضجيج طويل أبعد ما يكون عن الجد والصدق، إن الله لما شرع العبادات شرح الحكمة المقترنة بها، وثمرة المرجوة منها، فإذا أديت هذه العبادات تأدية عقيمة أو شكلية فإن هذه التأدية لا تزيد عن الإهمال والترك إلا قليلاً، وها قد ذهب رمضان واستقبل المسلمون أشهر الحج، وأغلب عشاق الحج مِن الذين يَحجون في كل عام ويزحمون موسمه، وهنا سؤال يطرح نفسه: أيهما أفضل حج النافلة أم سد الثغرة من ثغرات المجتمع؟ يُجيبنا على ذلك العارف بالله ابن عطاء الله السكندري عندما قال: (مِن علامة اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات، والتكاسل عن القيام بالواجبات).

الفروض التي يجب أداؤها كثيرة ومتنوعة، وهي في العبادات محدودةٌ كماً وكيفاً، ولكنها في العادات مفتوحة الدائرة متطورة الأداء، والمسلم مطالب بكل الواجبات

التي ارتبطت بعنقه، ولا يجوز أن يوجه نشاطه إلى نافلة ما قبل أن يستكمل هذه الواجبات أولاً.

إن الواجبات والنوافل أشبه بالضرورات والمرفهات، والمرء لا يشتري لنفسه عدة زجاجات من العطور وأهله بحاجة إلى رغيف من الخبز، فسد الجوع أولى من هذه الزينات، وإنك ترى أناساً من أهل الدين يذهلون عن هذه الحقيقة، وترى أحدهم حج مرات عديدة، وهو في سبيله إلى حجة جديدة لن تكون الأخيرة، وهذا خطأ كبير يرتكبه كثير من العابدين، فلو أنه بعد حجة الفريضة تأمّل فيما عليه من فروض أخرى، ولو أنه تتبع الثغرات التي شاعت في مجتمعنا وعمل على سدادها لكن أدنى إلى الصواب وأقرب إلى مرضاة الله، وأبعد عن أهواء النفس.

إن نفقات حجة واحدة من هذه النوافل تَكفي لدفع نفقات الدراسة لنفر من الطلاب الفقراء وهم أولى، وتكفي لرفع الحجز عن أمتعة نفر من الغارمين المعسرين وهم أولى، وتكفي لطبع بعض الكتب العليمة وتوزيعها بالمجّان وذلك أجدى.

قال أحد علماء مصر رحمه الله: أعرف رجلاً يَرغب أن يحج نافلة بعد أن حَج مرات عديدة، فقلت له : كم تكلفك هذه الحجة؟ قال: قرابة ألف جنيه أو أكثر، قلت له: أدلك على عمل أفضل؟ إن فلاناً تخرج من كلية الصيدلة وهو فقير، فضع بيد الشاب المتخرج هذا المبلغ يبدأ به حياة تَنفعه وتنفع أمته، ولك عند الله ثواب أكبير من ثواب حجتك هذه، فنظر الرجل إليّ دهشاً وقال: أهذا كلام يقال؟ قلت له: إنك إذا أطعتني أقمت فريضة وسددت ثغرة، وشاركت في جهاد جليل الثمرة بدل هذه النافلة التي تبغي، فأجابني مستغرباً: أدع الحج وأعين شاباً على فتح صيدلية؟!.

مع الأسف –يا سادة– إن جمهوراً غفيراً من المسلمين لا يدري أبعاد المأساة التي تعيش فيها أمته، ولا مدى التخلف الرهيب الذي يهدد يومها وغدها، إن إنقاذ أمتنا من الجهل والفقر أوجب من إشباع رغبة نفسية في متابعة الحج والعمرة، هذه فريضة وتلك نافلة، بل لو أن الحاج كان تاجراً واستغل المال في توسيع تجارته لدعم

اقتصاد وطنه وإغلاق الأبواب أمام الاقتصاد الأجنبي لكان ذلك أحق من بذل المال في التطوع بحج أو عمرة، وتنظيماً للعلاقة بين الفرائض والنوافل فقد روى الطبراني أن رسول الله ﷺ قال: ((حجة لمن لم يحج خير من عشر غزوات، وغزوة لمن قد حجَّ خيرٌ من عشر حججٍ)).

إن الفرائض كثيرة، وإذا كانت محدودة في ميدان العبادات فهي مطلقة في الميادين الأخرى، وأمتنا فقيرة إلى الجد في الميادين كلها، وإلا جثت على ركبتيها أمام أعدائها، ولذلك يجب أن تنظّم جهود العابدين، حتى لا تقل في ناحية وكثر في ناحية أخرى، ويجب إبراز الفروض أولاً، حتى لا تضطرب الأوضاع وتختل الموازين، وتتبدد الجهود هباء منثوراً.

لقد قال الفقهاء: إن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، والفريضة المطلوب أداؤها يستوي أن تكون فريضة عينية أو كفائية، وإذا كان التنفل يُعجز عن إحسان واجب فلا مكان له، احفظها أيها المسلم، ومثال ذلك إذا كان صوم التطوع يُعجز المعلم في المدرسة ويُوهن قواه فالفطر أولى، وإذا كان صوم التطوع يُعجز الطبيب عن القيام بواجبه اتجاه المرضى فالفطر له أولى، وإذا كان صوم التطوع يُعجز الموظف عن خدمة الجماهير فالفطر له أولى، فإن تعليم الأجيال وخدمة الجماهير والقيام على المرضى عَدَّهَا الإسلام فريضة لا يجوز إهمالها.

معاشر السادة: إن الله سبحانه وتعالى أعفى جمهور المؤمنين من قيام الليل وطول القراءة فيه إذا كانوا يقومون بأعباء الجهاد في سبيل الله أو طلب الرزق، حيث قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْه﴾ [المزمل: ٢٠] ويذكر علماء السيرة أن ابن مسعود ﷺ كان يُؤثر الإفطار على صيام التطوع لأن الفطر أعون له على قراءة القرآن.

والواقع أن الفرائض العينية أو الكفائية وسائل لتزكية الفرد ورفعة المجتمع، والمؤمن الواعي يقبل على ما يلائمه من هذه وتلك دون محاولة للفرار من واجب يتعين عليه، فلماذا يجهل بعض الناس أن ما وكل إلى ذممهم من أعمال عامة أو خاصة هو مجال خصب لكسب رضوان الله وغفرانه.

معاشر السادة: لقد سعى الغرب إلى إضعاف الأمة وقتل مواهبها وإضاعة جهودها، ولكي يصل إلى ذلك اعتمد على هدفين أساسيين: الأول: الاستيلاء على مال الأمة وزلزلة اقتصادها، والثاني: إضعاف معنويات الشعوب وتعليق هممها بالدنيا ومظاهرها الفارغة.

في الأمة أغنياء كثيرون، ولكنهم أشد بؤساً من الفقراء المعوزين، لا ينتفعون بثروتهم أحياءً، ولا ينتفع الناس بثروتهم بعد موتهم، هم لا يملكون الثروة، وإنما يحملونها على ظهورهم لينقلوها من جيل إلى جيل، يحملونها عن آباءهم لينقلوها إلى أبناءهم ليعبروا بها النهر، وكثيراً ما تنوء بهم هذه الثروة فتغرق ويغرقون معها، ولا يظفر أبناؤهم منها إلا بالتعاسة والبؤس وسوء الحال، وفي أوربا أغنياء ولكنهم أبعد الناس عن الفقر، لأنهم يملكون الثروة ويحسنون التصرف فيها، فهم ليسوا أنعاماً يحملون الثروة لينقلوها من جيل إلى جيل، وإنما هم أناس يملكون الثروة ويثمرونها، فيفيدون ويستفيدون.

منذ سنوات عديدة ذكرت إحدى الصحف الفرنسية أن رجلاً -اسمع أيها المسلم، واسمع أيها العربي، وانظر إلى تفكير وتصرف الغرب تجاه قضايا مجتمعهم- ذكرت إحدى الصحف الفرنسية أن رجلاً أهدى إلى جامعة باريس عشرة ملايين لإنشاء حي خاص يسكنه الطلاب الذين يدرسون في الجامعة، بحيث يُتاح لهؤلاء الطلاب أن يعيشوا في منازل صحية يَجدون فيها ما يُمكنهم من القيام بواجبهم. وأوصت أيضاً امراة بثروتها كلها لجامعة باريس، وثروتها تكاد تبلغ خمسة عشرة مليوناً، وإن هذه المرأة قبل أن تموت أهدت إلى كثير من الجامعات مَقادير مختلفة من المال لينفق

في طبع الرسائل التي يُقدمها الطلبة الفقراء لنيل الدكتوراة. هذا في فرنسا، أما في البلاد العربية فالثروة كبيرة ضخمة تنوء بالأغنياء، ولسنا نستطيع أن نذكر فقر العلم أو حاجته إلى المعونة، لأن أغنياء العرب يَجودون بأموالهم على متاع الدنيا ومظاهرها، فأما إذا احتجنا إلى غذاء العقل والقلب ففقرنا لا يَعدو له فقر.

يا سادة: إن الأعباء المفروضة علينا في هذا العصر كسوريين وعرب تَفرض علينا أن نذهل عن جميع المغريات وصنوف المرفهات، فلسنا في صراع هازل مع قوم تافهين، إننا في صراع مر مع زبانية الأرض وكبار اللصوصية العالمية، إننا في صراع حاسم يحسم الحياة والممات، ومن ثم يجب أن نراجع أساليب الحياة التي نحياها لنحذف منها كلما يضعفنا ويؤخرنا، ألا ترى أيها العربي أيها المسلم إلى أموال الحج والعمرة التي يُنفقها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها كيف استغلها النظام السعودي، لقتلك، لدمارك، لحرق الوطن العربي، لإشعال النيران هنا وهناك، أموال كثيرة تدخل على المملكة السعودية في موسم الحج، وهذه الأموال التي جمعوها طيلة سنين عديدة سخروها لقتل الأمة العربية والإسلامية وليس لإحيائها، قتلوا اليمن وأحرقوها، وإلى الآن لا يدري العالم مع صمته المزعج والمخجل لا يدري العالم ولا العرب لماذا يَشن النظام السعودي حرب إبادة على شعب عربي مسلم أعزل، وحرقوا قبل اليمن ليبيا، وقبله العراق، وبعده تونس، وبعده يُحاولون زعزعة أمن واستقرار الجزائر، يُحاولون إضعاف الجيش المصري، تفتيته، تدميره، كما شرعوا هنا في سورية عندما حاولوا أن يمزقوا الجيش العربي السوري المقاوم، فأموال آل سعود هذه الاموال النتنة تُسخر مع الأسف لإبادة الأمة العربية والإسلامية لكي تبقى إسرائيل آمنة مطمئنة، فأنت أيها المسلم إذا أردت أن تَحج فريضة نافلة فعليك أن تنظر قبل أن تشرع في حجتك هذه، عليك أن تنظر أولاً إلى المهجرين، إلى الشهداء، إلى عائلات الشهداء، إلى الجرحى، إلى الأسر المنكوبة، إلى العائلات المشردة التي تبكي في ليلها ونهارها تبحث عن لقمة طعام، إلى العائلات التي لا تجد غرفة تأويها من

حر الجو وبرد الجو، فهذه فريضة وليست بفريضة، بما أنك أديت الفريضة لا ينبغي منك أن تسعى إلى الأخرى لتضع أموالك في المملكة السعودية، وبعد أن تعود إلى بلدك يقوم النظام السعودي بقتلك بمالك الذي وضعته هناك، وأنت قد تكون ظننت أنك قمت بطاعة وعبادة وقربة إلى الله جل جلاله.

معاشر السادة: ما أحوج الأمة العربية والإسلامية اليوم إلى الوعي، إلى الفقه في المعاملات، إلى الفقه في أحوال المجتمعات، حتى ننقذ العائلات التي تأن من وجع الليل لا يَسمع أنينها إلا الله جل جلاله، حتى نسمع أنين الأطفال المشردين الذين شردهم الإرهاب الغاشم، أموال آل سعود مولت المرتزقة هنا وهناك، ماذا فعل المسلحون؟ ماذا فعلت العصابات المسلحة الذين سموا أنفسهم بأسماء إسلامية وبأسماء الصحابة، وحاشا للصحابة أن يكونوا قتلة ومجرمين، وحاشا للصحابة بأن يكونوا أصحاب قلوب قاسية، نقول لكل مسلح قتل وسفك الدم ودمر البنى التحتية في الجمهورية العربية السورية: أنت صهيوني، نعم أنت صهيوني، أنت خدمت بني صهيون تحت دعوى أنك تريد حرية، هذه الحرية قد نلتها، ماذا فعلت؟ شَردت أهل بلدتك، ماذا قدم المسلحون للمجتمع السوري يا سادة؟ أجيبونا، ماذا قدم المجرمون؟ ماذا قدم خدام بني سعود الذين اشتروهم بأموالهم النتنة؟ ماذا قدموا؟ ماذا فعلوا؟ ألا تبكي قبل أن تنام قهراً عن نفسك عندما تتذكر أن رجلاً مات مِن شدة الجوع في مناطق حاصرها الإرهاب؟ أما تبكي عندما ترى صورة طِفل يتحول إلى هيكل عظمي من شدة الجوع وذلك بسبب الإرهاب الغاشم والغادر الذي حَاصر حيه وقريته ومدينته؟ أما نبكي يا سادة؟ أما يبكي قلبك قبل أن تبكي عينك عندما تجد عائلة مشردةً تسير في الشوارع لا تجد مأوى لها؟ هذا ما قدمه المسلحون المجرمون المرتزقة، لكننا بفضل الله جل جلاله وبصمود الجيش العربي السوري، هذا الجيش المؤمن والمحب لله ورسوله، وبجهود الشرفاء الطيبين، أصبحنا نرى بوادر الانتصارات تلوح في الأفق، وأصبحنا نرى كل مسلح قتل وأجرم يبحث

عن ثقب فأرة ليختبئ فيه، لم؟ لأنهم جبناء، نَعم لأنهم جبناء، هم أرعبوا الشعب بداية الأمر بالسلاح، جعلوا الأسنة خرساء بالسلاح، لكن السوريين اليوم يقولون: لا، نحن أقوى من بندقيتكم، نحن أقوى من أموال آل سعود النتنة، نحن أقوى من مكر أردوغان القذر، نحن أقوى من مكر الساسة الأمريكية والبريطانية والفرنسية، نحن أصحاب حق، نحن اليوم نزداد قوة، نزداد شجاعة، نزداد صموداً، نزداد جرأة، لأننا أصحاب حق، أصحاب مبدأ، نسعى لحقن الدماء، نسعى لنشر الحب والسلام بين الناس، نسعى لإعادة المهجرين إلى بيوتهم ومدنهم وقراهم، فشتان بيننا وبينكم يا من ادعيتم أنكم تريدون حرية، أنكم تريدون تدميراً، لقد رأينا أن حريتكم هي صيانة وحماية بين إسرائيل، وأن ديمقراطيتكم هي نشر الفوضى في المجتمع السوري الآمن الذي كان من البلدان الخمس الأوائل في هذا العالم يَعيش بأمان واستقرار، موقفنا جميعاً أمامنا الله، وسيحاسب الله كل نفس أساءت لنفسها وأساءت للآخرين، إن في ذلك لذكرى لمن كان له أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطـــــبة الثانيـــــة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله اتقوا الله، واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم إنا نسألك أن تَنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تكون لهم معيناً وناصراً في السهول والجبال والوديان، وأن تثبت الأرض تحت أقدامهم وأن تسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك أن تنصر المقاومة اللبنانية، اللهم إنا نسألك أن تنصر حزب الله، اللهم إنا نسألك أن تنصر أهلنا وإخوتنا اليمن الحبيب، اللهم إنا نسألك

أن تُعيد الأمن والأمان والاستقرار إلى ربوع هذا الوطن الحبيب، اللهم وفق السيد الرئيس بشار الأسد لما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده لما تحبه وترضاه، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.